محمد محمد الشهاوى

زهرة اللوتس التى رفضت أن هاجر !!

فى يوم ٢٥ مارس ١٩٤٠ ولد الشاعر محمد محمد الشهاوى بقرية عين الحياة التابعة لمركز قلين محافظة كفر الشيخ، ألحقه والده بالمعهد الدينى بدسوق ثم الثانوية الأزهرية، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم، وسرعان ما ضاق بالمواد الدراسية الجامدة، وكان قد بدأ آنذاك دبيب الشعر يسرى فى وجدانه فهجا شيخه ومعلمه الضرير بقصيدة بعد أن ضاق ذرعا به وبشدته، ولما نما إلى علم شيخه بتلك القصيدة رفته من الدراسة بسببها، وتفرغ الشهاوى للشعر والكتابة والقراءة.

وكانت بدايته الحقيقية فى عام ١٩٥٦، أثناء العدوان الثلاثى على مصر والبيانات تذاع عما يحققه الإنسان المصرى من انجازات، والأناشيد تتوالى فرحة بتباشير النصر، يومها وجد "الشهاوى" نفسه مندفعا إلى حالة من الكتابة لا يعرف نوعها، فعرضها على شاعر معروف أنذاك هو المرحوم "عبد الفتاح شتا" فبشره بأن تلك الكتابة ما هى إلا شعر مكتمل، والعجيب فى الأمر أن الأستاذ "شتا" قد استرعى انتباهه

قصيدة من بين ما كتب "الشهاوى" من بحر البسيط، فقال له: "إن ذلك البحر متعدد التفعيلات والكتابة عليه لا يستطيعها غير المتمرسين" فتعجب "الشهاوى" مما يقول أستاذه لأنه لايعرف وقتها أى شىء عن علم العروض، ولا البحور ولا القوافى، ولكنه فرح كثيرا لأن أستاذه أكد له بأنه يتمتع بموهبة حقيقية، من يومها و"الشهاوى" يبحث عن الشاعر فى نفسه ظل يرعاه وينميه ويحافظ عليه، أكثر من الحفاظ على نفسه وحياته.

منابع فياضة

استقى "الشهاوى" ثقافته الأولى من منابع فياضة كان أولها وأهمها حفظه للقرآن الكريم، وما كان يستمع إليه من والده وهو طفل صغير من أدعية وتواشيح يختلط فيها العامى بالفصيح فى منظومات وجدانية تحمل فى طياتها الكثير من الشعر، ثم قرآت متفرقة بعد ذلك بدأ بكتاب "المنتخب فى أدب العرب" بأجزائه الأربعة ثم ديوان "عنترة" ثم "شوقى" ثم الاستمرار فى الابحار فى ديوان الشعر العربى قديمه وحديثه لكنه لا ينسى ما لعبه كتاب "ألف ليلة وليلة" فى حياته فقد فتح عينيه وخياله على عوالم سحرية بديعة فجرت لديه طاقات إبداعية، لم يكتف "الشهاوى" بهذا بل كان يذهب إلى أحد شعراء الربابة فى قرية على مقربة من قريته، لكى يستمع إليه ويستمتع

بحكاياته عن "أبو زيد الهلالى" و"عنترة العبسى" وغيرها من القصص الشعبى، وأيضا كان يحفظ عن ظهر قلب أغانى الحصاد والحجيج والأفراح وغيرها من الأغانى الشعبية.

ظل " الشهاوى" على هذا الحال من قراءة واطلاع وكتابة حتى عام ١٩٦٢ أى وهو فى سن الثانية والعشرين من العمر، أصدر أول دواوينه الشعرية وطبعه طبعة ماستر فى إحدى مطابع دسوق، بعنوان: "ثورة الشعر" ولم يكن قبلها نشر "الشهاوى" الشعر سوى فى مجلات الحائط التى كانوا يعدونها فى معهد دسوق الدينى، وحينما قبض بأنامله على أول نسخة من ديوانه كاد لا يصدق نفسه، وأخذته عظمة الشعراء، وقال اليوم صرت شاعرا، ولكنه بعد أن صار شاعرا مكتملا أصبح لا يذكر هذا الديوان، وإذا حدث وذكره يذكره على استحياء لأنه كان ديوان البدايات أى مجرد محاولات للولوج إلى عالم الشعر الذى مازال يبحث عنه حتى الآن.

وفى فترة السبعينات إلتقى "الشهاوى" بالشاعر محمد عفيفى مطر الذى كان قد ذهب إلى كفر الشيخ أنذاك ليعمل مدرسا بإحدى مدارسها، فأصدر عفيفى مطر مجلة "سنابل" التى صارت فى ذاك الوقت من أشهر المجلات الأدبية، وكانت تنشر إبداعات كبار الشعراء والكتاب، عمل "الشهاوى" ضمن أعضاء هيئة تحرير المجلة، ولكن سرعان ما أغلقت المجلة أبوابها بعد أن نشرت قصيدة

"الكعكة الحجرية" للشاعر الراحل "أمل دنقل" فى تلك الفترة التقى "الشهاوى" بأصدقاء عمره من الشعراء، على قنديل، عبد الدايم الشاذلى، تاج الدين محمد تاج الدين، عاطف بشاى، أحمد سماحة، وكونوا معا جماعة "حورس الأدبية" التى انطلقت من قصر ثقافة كفر الشيخ بعد أن إلتحق "الشهاوى" للعمل به أخصائيا ثقافيا وأسس أيضا مع أصدقائه أول نادى أدب بالمحافظة.

انطلاقة حقيقية!!

ظل "الشهاوى" فى كفر الشيخ يلتقى بأصدقائه ومحبيه من الشعراء، وفى تلك الأثناء أصدر ديوانه الثانى "قلت للشعر" عام ١٩٧٣ وتوالت دواوين "الشهاوى" بعد ذلك فأصدر ديوانه الثالث "مسافر فى الطوفان" عن قصر ثقافة كفر الشيخ عام ١٩٨٥، وكان هذا الديوان بمثابة انطلاقة حقيقية "للشهاوى" وهو الذى قدمه للساحة الأدبية بشكل جيد ومشرف ليصبح به من أهم شعراء جيله، ثم أصدر بعد ذلك ديوانه الرابع "زهرة اللوتس ترفض أن تهاجر" عن هيئة قصور الثقافة عام ١٩٩٢، ثم ديوانه الخامس "إشراقات التوحد" الذى صدر عن مطبوعات صالون القرضا عام ٢٠٠٠، ثم ديوانه "ما فى الجبة غير الحلاج" عن هيئة الكتاب عام ٢٠٠٤، لتتوج مسيرته بإصدار أعماله الشعرية الكاملة فى أربعة أجزاء فى سلسلة الأعمال الكاملة

التى تصدرها هيئة قصور الثقافة عام ٢٠١٣.

مر "الشهاوى" خلال هذه الرحلة بأزمات عصيبة، وظروف يقشعر لها البدن فحينما مرض إبنه "أيمن" -رحمه الله- مرض الموت لم يجد "الشهاوى" ثمنا لدوائه ولما مات قال فيه شعرا:

"هى الأرض غانية ترتدى ورق البنكنوت/ وها هو طفلى، بلا ثمن للدواء يموت/ هنا الأرض تأخذ زينتها: عملة صعبة/ لتغادرنا للبلاد البعيدة/ وأمى القعيدة/ على فرشة الداء ينخر فى مقلتيها الخفوت" ولما سافر بعض أصدقائه إلى الخارج فلم يمتلك شعوره الذى انطلق يقول:

"يا أحبائى، / لماذا عندما سافرتمُ لم تتركوا قلبى؟/ لماذا عندما سافرتمُ لم تتركوا لىّ/ غير قائمة الجراح/ بيروت جرح/ والأسى جرح/ وعصر يقتل الشعراء جرح/ وارتحال أحبتى جرح وجرح/ إننى ما عدت أحتمل الجراح"

ورغم أن "الشهاوى" نال من الشهرة ما لم ينله أحد من الأقاليم، ورغم شاعريته الفذة رفض أن يترك كفر الشيخ ويذهب مهاجرا للقاهرة حيث الشهرة والنجومية بل فضل أن يظل بين تلاميذه، ومحبيه يكتب قصيدته فى صبر ومثابرة، مراهنا عليها ومخلصا لها، لايسعى لأى مكسب مادى ولا يخشى منصبا ولا جاها.

فاز "الشهاوى" بالجائزة الأولى فى الشعر على مستوى الجمهورية أعوام: ٦٤، ٧٣، ١٩٧٤، والعديد من الجوائز على مستوى المحافظة ابتداء من عام ١٩٦٥، كما فاز بجائزة عبد العزيز البابطين عن أحسن قصيدة عام ١٩٩٤ عن قصيدته الرائعة: "المرأة الاستثناء" وتعتبر هذه القصيدة إحدى درر الشعر العربى الحديث، كما فاز بجائزة الدولة التشجيعية ولكنه لم ينشغل بالجوائز حتى لا تصرفه عن تكمله مشروعه الشعرى الذى يعيشه بكل خلجة من خلجات قلبه.

تحقق الحلم

ولأنه يحب أبناء كفر الشيخ حبا جما، سخر جل وقته للكتابة عنهم، بعدما حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة منذ سنوات فقد كان هذا الحلم يراوده كثيرا، ولكن الوقت كان لايسعفه، وبعد حصوله على المنحة أنجز مشروعا ضخما تحت عنوان: "البرارى وحكايا الحساسيين" كتب فيه عن الناقد الراحل "أنور المعداوى" الأسطورة والمأساة، وعن شاعر البرارى: "محمد السيد شحاتة" وعن "على قنديل" تحت عنوان: " على قنديل كونشيرتو الإمكان" وعن شاعر البرلس الخالد: "صالح الشرنوبى" تحت عنوان: "صالح الشرنوبى، النهر الذى أسكر العالم" وعن الشاعر "عبد الدايم الشاذلى" تحت عنوان "عبد الدايم الشاذلى بصمات منقوشة بالحنين" وعن الفنان التشكيلى "عبد المنعم

مطـاوع" تحـت عنـوان: "عبـد المنعـم مطـاوع السـندباد الـذى جـاب العـالم مـن موقعـه" وعـن المثـال "السـيد عبـده سـليم" تحـت عنـوان "السـيد عبـده سـليم، صرخـة الضمـير المنهـك بتمـرده الخـاص" ثـم الكتابـة عـن نفسـه، تحـت عنـوان: "محمـد الشـهاوى، زهـرة اللوتـس التـى رفضـت أن تهاجـر"

وقـد سـألته فـى حـوار صحافـى أجريتـه معـه منـذ سـنوات، كيـف تنظـر إلى جوائـز الدولـة قبـل أن يحصل على التشـجيعية، ولمـاذا لم تتقـدم حتـى الآن لأى مـن تلـك الجوائـز؟ فأجابنـى:

مثلمـا تتصـرف معـى الحركـة النقديـة بتجاهـل كبـير، فـإن جوائـز الدولـة تتصـرف معـى على النحـو ذاته، والجائـزة الكبرى التـى قـد حصلـت عليهـا جـاءت مـن خـارج مصـر فبقـدر فرحـى بهـا كان شـديد حزنـى لأننـى كنـت أتمنـى أن أحصـل علـى تلك الجائـزة مـن مصـر، وللعلـم فـإن هـذا الموقـف لا يشـغلنى كثـيرا أو قليـلا لأننـى مشـغول بشـىء واحـد هـو حقيقتـى الشـعرية!!

وهو القائل:

"مهيـض أنـا/ منـذ صيرنـى الشـعر طـيرا/ بأفـق البـلاد الغريبـة/ والـذى يعشـق الشـعر/ كيـف لـه أن يحيـط ببعـد جروحـى/ لعـل أقـل همومـى أن جناحـى ضاعـا/ ومازلـت أبحـث عـن أمـة مسـتحيلة".

★ نشر هذا المقال بجريدة القاهرة فى ٦ سبتمبر ٢٠٠٥